

ترجمة الشيخ حافظ الحكمي

الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، أحد علماء المملكة العربية السعودية السلفيين، وهو علم من أعلام منطقة الجنوب (تهامة) الذين عاشوا حياتهم في الشطر الأول من النصف الثاني من هذا القرن (الرابع عشر الهجري).

والحكمي: نسبة إلى (الحكم بن سعد العشيرة)، بطن من (مذحج) من (كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان).

* مولده ونشأته:

وُلد الشيخ حافظ لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٤٢ هـ، ١٩٢٤ م، بقرية (السلام) التابعة لمدينة (المضايأ) - الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة (جازان) حاضرة المنطقة، على الساحل، قريبة منها - حيث تُقيم قبيلته التي إليها ينتسب.

ثم انتقل مع والده أحمد إلى قرية (الجاضع) التابعة لمدينة (صامطة) في المنطقة نفسها، وهو ما يزال صغيراً؛ لأن أكثر مصالح والده - من أراض زراعية

وَمَوَاشٍ وَنَحْوَهُمَا - كَانَتْ هُنَاكَ، وَإِنْ بَقِيَتْ أُسْرَتُهُ الصَّغِيرَةُ تَنْتَقِلُ بَيْنَ قَرَيْتَيِ
(السَّلَام) وَ(الْجَاضِع) لِيُظْرَوْفَهَا الْمَعِيشِيَّةُ.

وَنَشَأَ حَافِظٌ فِي كَنَفِ وَالِدَيْهِ نَشَأَةً صَالِحَةً طَيِّبَةً، تَرَبَّى فِيهَا عَلَى الْعَفَافِ
وَعَلَى الطَّهَارَةِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَكَانَ قَبْلَ بُلُوغِهِ يَقُومُ بِرِعَايَةِ وَالِدَيْهِ الَّتِي
كَانَتْ أَمَمٌ ثَرَوَةٌ لَدَيْهِمْ آنَ ذَاكَ، جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ الْمُجْتَمَعِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، إِلَّا أَنَّ
حَافِظًا لَمْ يَكُنْ كَغَيْرِهِ مِنْ فِتْيَانِ مُجْتَمَعِهِ؛ فَقَدْ كَانَ آيَةً فِي الذِّكَاةِ وَسُرْعَةِ الْحِفْظِ
وَالْفَهْمِ، فَلَقَدْ خَتَمَ الْقُرْآنَ وَحَفِظَ الْكَثِيرَ مِنْهُ وَعُمُرُهُ لَمْ يَتَجَاوَزِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ بَعْدُ،
وَكَذَلِكَ تَعَلَّمَ الْخَطَّ وَأَحْسَنَ الْكِتَابَةَ مُنْذُ الصَّغَرِ.

* طَلَبُهُ الْعِلْمِ:

عِنْدَمَا بَلَغَ حَافِظٌ مِنَ الْعُمُرِ سَبْعَ سَنَوَاتٍ أَدْخَلَهُ وَالِدُهُ مَعَ شَقِيقِهِ الْأَكْبَرِ
مُحَمَّدٍ مَدْرَسَةً لِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِقَرْيَةِ (الْجَاضِعِ)، فَقَرَأَ عَلَى مُدَسِّسِهِ بِهَا
جُزْأَيِ (عَمٍّ، وَتَبَارَكَ)، ثُمَّ وَاصَلَ قِرَاءَتَهُ مَعَ أَخِيهِ حَتَّى أَتَمَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ مُجَوِّدَةً
خِلَالَ أَشْهُرٍ مَعْدُودَةٍ، ثُمَّ أَكْمَلَ حِفْظَهُ حِفْظًا تَامًا بَعْدَ ذَلِكَ.

اشْتَغَلَ بَعْدَئِذٍ بِتَحْسِينِ الْخَطِّ، فَأَوْلَاهُ أَكْبَرَ جُهُودِهِ حَتَّى أَتَقَنَهُ، وَكَانَ يَنْسَخُ
مِنْ مُصْحَفٍ مَكْتُوبٍ بِخَطِّ مُمْتَازٍ، إِلَى جَانِبِ اشْتِغَالِهِ مَعَ أَخِيهِ بِقِرَاءَةِ بَعْضِ كُتُبِ
الْفِقْهِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالتَّوْحِيدِ مُطَالَعَةً وَحِفْظًا بِمَنْزِلِ وَالِدِهِ؛ إِذْ
لَمْ يَكُنْ بِالْقَرْيَةِ عَالِمٌ يُوثِقُ بِعِلْمِهِ فَيَتَلَمَّذُ عَلَى يَدَيْهِ.

وَفِي مَطْلَعِ سَنَةِ ١٣٥٨ هـ قَدِمَ مِنْ (نَجْدِ) الشَّيْخُ الدَّاعِيَةُ الْمُصْلِحُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدٍ الْقَرَعَاوِيُّ إِلَى مَنْطِقَةِ (تَهَامَةَ) فِي جَنُوبِ الْمَمْلَكَةِ، بَعْدَ أَنْ سَمِعَ
عَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْجَهْلِ وَالْبِدْعِ - شَأْنُ كُلِّ مَنْطِقَةٍ يَقُلُّ فِيهَا الدُّعَاةُ وَالْمُصْلِحُونَ
أَوْ يَنْعَدِمُونَ -، وَنَذَرَ نَفْسَهُ مُخْلِصًا عَلَى أَنْ يَقُومَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ،
وَتَصْحِيحِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي النُّفُوسِ، وَإِلَى إِصْلَاحِ الْمُجْتَمَعِ وَإِزَاحَةِ مَا كَانَ
عَالِقًا فِي أَذْهَانِ الْجُهَّالِ مِنْ اعْتِقَادَاتٍ فَاسِدَةٍ وَخُرَافَاتٍ مُضِلَّةٍ.

وَفِي سَنَةِ ١٣٥٩ هـ قَدِمَ شَقِيقُ حَافِظٍ (مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ) بِرِسَالَةٍ مِنْهُ وَمِنْ
أَخِيهِ حَافِظٍ يَطْلُبَانِ فِيهَا مِنَ الشَّيْخِ الْقَرَعَاوِيِّ كُتُبًا فِي التَّوْحِيدِ، وَيَعْتَذِرَانِ عَنِ
عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْمَجِيءِ إِلَيْهِ لَانْشِغَالِهِمَا بِخِدْمَةِ وَالِدَيْهِمَا وَالْعِنَايَةِ بِشُؤْنَيْهِمَا،
كَمَا يَطْلُبَانِ مِنْهُ - إِنْ كَانَ فِيهِ اسْتِطَاعَتُهُ - أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمَا بِقَرِيَّتَيْهِمَا لِيَسْمَعَا مِنْهُ
بَعْضَ مَا يُلْقِي مِنْ دُرُوسٍ، وَلَبَّى الشَّيْخُ طَلِبَهُمَا وَذَهَبَ إِلَى قَرِيَّتَيْهِمَا.

وَهُنَاكَ التَّقَى حَافِظًا وَعَرَفَهُ عَنْ كَثَبٍ، وَتَوَسَّمَ فِيهِ النَّجَابَةَ وَالذِّكَاءَ، وَقَدْ
صَدَقَتْ فِيهِ فِرَاسَتُهُ.

وَمَكَثَ الشَّيْخُ الْقَرَعَاوِيُّ عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي (الْجَاضِعِ) أَلْقَى فِيهَا بَعْضَ دُرُوسِهِ
الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي حَضَرَهَا مَجْمُوعَةٌ مِنْ شُيُوخِ الْقَرْيَةِ وَشَبَابِهَا، وَمِنْ بَيْنِهِمْ حَافِظُ
الَّذِي كَانَ أَصْغَرَهُمْ سِنًا، لَكِنَّهُ كَانَ أَسْرَعَهُمْ فَهْمًا، وَأَكْثَرَهُمْ حِفْظًا وَاسْتِيعَابًا لِمَا
يُلْقِي الشَّيْخُ مِنْ مَعْلُومَاتٍ.

يَقُولُ عَنْهُ الشَّيْخُ الْقَرَعَاوِيُّ - وَهُوَ شَيْخُهُ -: «وَهَكَذَا جَلَسْتُ عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي
(الْجَاضِعِ)، وَحَافِظٌ يَأْخُذُ الدُّرُوسَ، وَإِنْ فَاتَهُ شَيْءٌ نَقَلَهُ مِنْ زُمَلَائِهِ، فَهُوَ عَلَى اسْمِهِ

(حَافِظٌ) يَحْفَظُ بِقَلْبِهِ وَخَطِّهِ، وَالطَّلَبَةُ الْكِبَارُ كَانُوا يُرَاجِعُونَهُ فِي كُلِّ مَا يُشْكَلُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَعْنَى وَالْكِتَابَةِ، قَالَ: لِأَنِّي كُنْتُ أُمْلِي عَلَيْهِمْ إِمْلَاءً ثُمَّ أَشْرَحَهُ لَهُمْ.

وَعِنْدَمَا أَرَادَ الشَّيْخُ الْقَرَعَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الْعَوْدَةَ إِلَى مَدِينَةِ (صَامِطَةَ) الَّتِي جَعَلَهَا مَقَرًّا لَهُ وَمَرْكَزًا لِدَعْوَتِهِ، طَلَبَ مِنَ وَالِدَيْ حَافِظٍ أَنْ يُرْسِلَاهُ مَعَهُ لِيَطْلُبَ الْعِلْمَ عَلَى يَدَيْهِ فِي (صَامِطَةَ) عَلَى أَنْ يَجْعَلَ لَهُمَا مَنْ يَرَعَى غَنَمَهُمَا بَدَلًا عَنْهُ، وَلَكِنَّهُمَا رَفَضَا طَلَبَ الشَّيْخِ أَوَّلَ الْأَمْرِ، وَأَصْرًا عَلَى أَنْ يَبْقَى ابْنُهُمَا الصَّغِيرُ فِي خِدْمَتِهِمَا لِحَاجَتِهِمَا الْكَبِيرَةَ إِلَيْهِ.

وَشَاءَ اللَّهُ أَلَّا تَطُولَ حَيَاةُ وَالِدَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِذْ تُوفِيَتْ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ ١٣٦٠ هـ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَالِدُهُ وَلَأَخِيهِ مُحَمَّدٌ بِأَنْ يَذْهَبَا إِلَى الشَّيْخِ الْقَرَعَاوِيِّ لِلدِّرَاسَةِ لِمُدَّةِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ فِي الْأُسْبُوعِ ثُمَّ يَعُودَا إِلَيْهِ، إِلَى أَبِيهِمَا، فَكَانَ حَافِظٌ لِذَلِكَ يَذْهَبُ إِلَى الشَّيْخِ فِي (صَامِطَةَ) فَيَمْلِي الشَّيْخُ عَلَيْهِ الدُّرُوسَ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى قَرِيَّتِهِ، وَكَانَ مُلْهِمَا يَفْهَمُ وَيَعِي كُلَّ مَا يَقْرَأُ وَكُلَّ مَا يَسْمَعُ مِنْ مَعْلُومَاتٍ.

وَلَمْ يُعَمَّرْ وَالِدُهُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ إِذْ قُبِضَ وَهُوَ عَائِدٌ مِنْ حَجِّ سَنَةِ ١٣٦٠ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ فَتَفَرَّغَ حَافِظٌ لِلدِّرَاسَةِ وَالتَّحْصِيلِ، وَذَهَبَ إِلَى شَيْخِهِ الْقَرَعَاوِيِّ وَلَا زَمَهُ مُلَازِمَةٌ دَائِمَةٌ يَقْرَأُ عَلَيْهِ وَيَسْتَفِيدُ مِنْهُ.

وَكَانَ حَافِظٌ فِي كُلِّ دِرَاسَاتِهِ عَلَى شَيْخِهِ مُبَرِّزًا وَنَابِغَةً، فَاتَّمَرَ فِي الْعِلْمِ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ، وَأَجَادَ قَوْلَ الشُّعْرِ وَالنَّشْرَ مَعًا، وَأَلَّفَ مُؤَلَّفَاتٍ عَدِيدَةً فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَقَدْ كَانَ كَمَا قَالَ عَنْهُ شَيْخُهُ: «لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرٌ فِي

التَّحْصِيلِ وَالتَّأْلِيفِ وَالتَّعْلِيمِ وَالْإِرَادَةِ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ.

* عِلْمُهُ:

مَكَثَ حَافِظُ يَطْلُبُ الْعِلْمَ عَلَى يَدِ شَيْخِهِ الْجَلِيلِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَعَاوِيِّ، وَيَعْمَلُ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ، وَيَقْتَنِي الْكُتُبَ الْقِيَمَةَ النَّادِرَةَ مِنْ أُمَمَاتِ الْمَصَادِرِ الدِّينِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَيَسْتَوْعِبُهَا قِرَاءَةً وَفَهْمًا.

وَعِنْدَمَا بَلَغَ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ -وَمَعَ صِغَرِ سِنِّهِ- طَلَبَ مِنْهُ شَيْخُهُ أَنْ يُؤَلِّفَ كِتَابًا فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، يَشْتَمِلُ عَلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَيَكُونُ هَذَا التَّصْنِيفُ نَظْمًا لَيْسَهُلَ حِفْظِهِ عَلَى الطُّلَّابِ، يُعَدُّ بِمَثَابَةِ اخْتِبَارٍ لَهُ يَدُلُّ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي اسْتَفَادَ مِنْ قِرَاءَتِهِ وَتَحْصِيلِهِ الْعِلْمِيِّ.

فَصَنَّفَ مَنَظُومَتَهُ «سُلَّمُ الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ فِي التَّوْحِيدِ» الَّتِي انْتَهَى مِنْ تَسْوِيدِهَا فِي سَنَةِ ١٣٦٢ هـ وَقَدْ أَجَادَ فِيهَا، وَلَاقَتْ اسْتِحْسَانَ شَيْخِهِ وَالْعُلَمَاءِ الْمُعَاَصِرِينَ لَهُ.

ثُمَّ تَابَعَ تَصْنِيفَ الْكُتُبِ بَعْدَ ذَلِكَ^(١)، فَأَلَّفَ فِي التَّوْحِيدِ، وَفِي مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ، وَفِي الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ، وَفِي الْفَرَائِضِ، وَفِي السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَفِي الْوَصَايَا وَالْآدَابِ الْعِلْمِيَّةِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ نَظْمًا وَنَثْرًا، وَقَدْ طُبِعَتْ جَمِيعُهَا طَبْعَتُهَا الْأُولَى

(١) تَأَمَّلْ وَالتَّفَتَّ إِلَى السَّنِّ الَّتِي أَلَّفَ الشَّيْخُ حَافِظٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِيهَا نَظْمًا، هَذَا الْمُصَنَّفُ فِي التَّوْحِيدِ، هُوَ «سُلَّمُ الْوُصُولِ» كَانَ دُونَ الْعِشْرِينَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-.

عَلَى نَفَقَةٍ جَلَالَةِ الْمَلِكِ سُعُودِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَيَتَضَحُّ لَنَا مِنْ أَثَارِهِ الْعِلْمِيَّةِ أَنَّ أَبْرَرَ مَقْرُوعَاتِهِ ذَاتِ الْأَثَرِ فِي مَنَهْجِهِ الْعِلْمِيِّ وَمُؤَلَّفَاتِهِ هِيَ تِلْكَ الْكُتُبُ الَّتِي أَلْفَهَا عُلَمَاءُ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ تَفْسِيرٍ وَحَدِيثٍ وَفِقِهِ وَأُصُولِهِ .

أَمَّا فِي مَجَالِ الْعَقِيدَةِ فَقَدْ بَدَأَ شَدِيدَ التَّأَثُّرِ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ وَتَلْمِيزِهِ الْإِمَامِ ابْنَ الْقَيِّمِ، كَانَ كَثِيرُ الْأَسْفَادَةِ مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِمَا، وَكَانَ كَثِيرَ الْأَخْذِ عَنْهُمَا، إِلَى جَانِبِ اسْتِعَايِهِ لِكَثِيرٍ مِنْ مَصَادِرِ التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْبَيَانِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي مُخْتَلَفِ الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

وَلَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَمِيقَ الْفَهْمِ، سَرِيعَ الْحِفْظِ لِمَا يَقْرَأُ، وَقَدْ مَرَّبَنَا قَوْلَ لِشَيْخِهِ يُشِيدُ فِيهِ بِتَلْمِيزِهِ حَافِظُ، الَّذِي كَانَ يَحْفَظُ بِقَلْبِهِ وَخَطِّهِ - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ شَيْخِهِ -، وَكَانَ زُمَلَاؤُهُ الْكِبَارُ يُرَاجِعُونَهُ فِي كُلِّ مَا يُشْكِلُ عَلَيْهِمْ مِنْذُ مَرَّاحِلِ تَعْلِيمِهِ الْأَوَّلَى .

* أَدْبِهِ :

يُعَدُّ الشَّيْخُ حَافِظٌ مِنْ أَجْلِ عُلَمَاءِ مَنْطِقَتِهِ تَهَا مَةً وَأَقْدَرِهِمْ عَلَى قَوْلِ الشَّعْرِ، فَقَدْ كَانَ يَعَسُقُ الشَّعْرَ مِنْذُ صِغَرِهِ وَيَحْفَظُهُ وَيَقُولُهُ سَلِيْقَةً دُونَ تَكْلِيفٍ، فَلَا غَرَابَةَ إِذَا رَأَيْنَاهُ يُخْرِجُ أَكْثَرَ مُؤَلَّفَاتِهِ نَظْمًا .

وَلَقَدْ كَانَ أَكْثَرَ مَا يَقُولُ الشَّعْرَ - فِي غَيْرِ مَا كَتَبَهُ مِنْ مَنْظُومَاتٍ عِلْمِيَّةٍ - إِمَّا نَصِيْحَةً أَوْ مُسَاجِلَةً لِصَدِيقٍ أَوْ وَصْفًا أَوْ خَاطِرَةً، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَدُونْ جُلَّ مَا قَالَ، إِنْ

لَمْ يَكُنْ كَلَمَةً، وَمَا بِأَيْدِينَا مِنْهُ إِلَّا أَنْ نَزُرَ يَسِيرٌ جَدًّا حَفِظَهُ عَنْهُ بَعْضُ تَلَامِيذِهِ.

وَمِنْ أَهَمِّ قَصَائِدِ الشُّعْرِ تِلْكَ «الْقَصِيدَةُ الْمِيْمِيَّةُ» الَّتِي أَنْشَأَهَا فِي الرِّصَالِ وَالْآدَابِ الْعِلْمِيَّةِ، وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ جَدًّا، نَخْتَارُ مِنْهَا هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي يَصِفُ فِيهَا الْعِلْمَ وَمَنْزِلَتَهُ:

الْعِلْمُ أَغْلَى وَأَحْلَى مَا لَهُ اسْتَمَعَتْ
الْعِلْمُ غَايَتُهُ الْقُصُومَى وَرُبُّتُهُ الْـ
الْعِلْمُ أَشْرَفُ مَطْلُوبٍ وَطَالِبُهُ
الْعِلْمُ نُورٌ مُبِينٌ يَسْتَضِي بِهِ
الْعِلْمُ أَعْلَى حَيَاةٍ لِلْعِبَادِ، كَمَا
أَهْلُ الْجَهَالَةِ أَمَوَاتٌ بِجَهْلِهِمْ

ثُمَّ يَقُولُ مُرَجِّعًا فِي الْعِلْمِ، وَحَافِظًا طَالِبُهُ عَلَى الْحِرْصِ عَلَيْهِ، وَالسَّعْيِ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ لِنَيْلِ أَكْبَرِ قِسْطٍ مِنْهُ، وَعَدَمِ الرِّضَا بِغَيْرِهِ عَوْرَضًا عَنْهُ، فَمَنْ حَصَلَ عَلَيْهِ فَقَدْ ظَفَرَ، وَيُوصِي طَلَبَةَ الْعِلْمِ بِمَسَاعَدَةِ غَيْرِهِمْ فِي تَحْصِيلِهِ وَتَقْرِيبِ مَبَاحِثِهِ، وَيُسَيِّرُ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِأَنْ يُخْلِصُوا نِيَّاتِهِمْ - فِي طَلَبِهِ - لِرُوحِ اللَّهِ الْكَرِيمِ:

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ لَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا فَقَدْ ظَفِرْتَ وَرَبُّ الْمُسُوحِ وَالْقَلَمِ
وَقَدْ سِ الْعِلْمِ وَأَعْرِفْ قَدْرَ حُرْمَتِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْآدَابِ فَالْتَزِمْ
لَهُ تَعَلَّمَ الْمَرْءُ قَدْرَ الْعِلْمِ لَمْ يَنْمِ

وَمَرْجَبًا قُلْ لِمَنْ بَارِئُكَ يَتَلَبَّهٖ وَفِيهِمْ أَحْفَظُ أَوْصِيَاءِ الْمُصْطَفَى بِهِمْ
وَالنَّبِيُّ اجْعَلْ لِي وَجْهَ اللَّهِ خَالِصَةً إِنَّ الْبِنَاءَ يَذُوقُونَ الْأَصْلَ لَمْ يَقُمْ
وَهُنَاكَ أَيْضًا قَصِيدُهُ الْهَزْرِيَّةُ الَّتِي قَالَهَا فِي تَشْجِيعِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَالْمَدْعُورَةِ
إِلَى التَّمَسُّكِ بِأَسَاسِهِ وَأَصْلِهِ، وَهِيَ لَا تَزَالُ مَحْظُوطَةً لَمْ تُنْشَرْ بَعْدَهُ، وَتَقَعُ فِي أَكْثَرِ
مِنْ مَاتِي بَيْتٍ، مِنْ بَحْرِ الْكَامِلِ عَلَى رَوِيِّ الْهَمْزَةِ، اسْتَعْرَضَ فِيهَا مَا ضَيَّ
الْمُسْلِمِينَ وَحَاضَرَهُمْ وَمَا يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ فِي مُسْتَقْبَلِهِمْ.

كُلُّ ذَلِكَ بِأَسْلُوبٍ قَوِيٍّ رَصِينٍ، وَتَعْبِيرٍ جَزَلٍ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا تَفَجَّرَ فِي
جَوَانِبِ آيَاتِهَا مِنْ شُعُورٍ قِيَّاضٍ، وَمَعَانٍ سَامِيَةٍ، وَأَهْدَافٍ نَبِيلَةٍ، وَرُوحٍ عَالِيَةٍ،
تَحَدَّثَتْ فِي أَوَّلِهَا عَنِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَقِيَامِهِ بِاللَّدْعَةِ
إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ:

وَيَعِزُّ رَبِّي رُسُلَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ
حَتَّى اسْتَمَّتْ بِنَاءَهُمْ بِمُحَمَّدٍ
فَهُوَ الرَّسُولُ إِلَى الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ
مَا لِأَمْرِي أَبَدًا خُرُوجٌ عَنْ شَرِيهِ
لَمْ يَقْبِضِ الْمَوْلَى تَعَالَى رُوحَهُ
وَأَنْتُمْ نَعَمْتُهُ وَأَكْمَلُ دِينِهِ
وَمَضَى وَأَمْسَتْهُ بِأَقْوَمَ مَسْنَعِهِ
وَعَلَى مَحَجَّةٍ هَدِيهِ الْبَيْضَاءِ
لَمْ تَحْدَثْ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَمَنَاهِجِهِمْ فِي الْحُكْمِ، وَانْتَقَلَ بَعْدَهُمْ

يَعْنِي وَاقِعَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعُصُورِ الَّتِي تَلَتْ عَصْرَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ عَصْرَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ (ابن تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ) وَجَدَنَا الشَّيْخَ حَافِظًا يَقُولُ:

عَلِمَ بِهِ يُؤْتَمُّ فِي الظُّلَمَاءِ
عَبْدُ الْحَلِيمِ نُومِي بِلا اسْتِثْنَاءِ
بِذِ الْأَوَّلِ الْوَحِيدِ خَيْرِ ضِيَاءِ
أَعْظَمَ بِهِ هَدَمًا لِشَرِّ بِنَاءِ
إِلَّا بِعَهْدِ السَّادَةِ الْخُلَفَاءِ
وَأَنْى بِقَرْنٍ سَابِعٍ مِنْ هِجْرَةٍ
أَعْنِي بِذَلِكَ الْحَبْرَ أَحْمَدَ مَنْ إِلَى
كَمْ هَاجَمَ الْبِدْعَ الضَّلَالِ وَأَهْلِهَا
وَقَوَاعِدَ التَّحْرِيفِ هَذَا أَصْوَلُهَا
وَلَهُ جِهَادٌ لَيْسَ بِعَهْدٍ مِثْلَهُ

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَا قَامَ بِهِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِنْ قَمْعٍ لِلْفَتَنِ وَإِبَادَةٍ لِلطُّغْيَانِ، تَابَعَ الْمَسِيرَةَ إِلَى الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ الثَّالِثَةِ، مُصَوِّرًا طَبِيعَةَ الْحَيَاةِ الَّتِي كَانَتْ يَعْيشُهَا الْمُسْلِمُونَ فِي تِلْكَ الْأَزْمِنَةِ، مُشِيرًا إِلَى بَعْضِ الْمُصْلِحِينَ الَّذِينَ سَعَوْا لِتَصْحِيحِ الْأَوْضَاعِ فِي بِلَادِهِمْ كَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ الْهَجْرِيِّ وَغَيْرِهِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى -.

ثُمَّ ذَهَبَ يُوجِّهُ الْخُطَابَ إِلَى الْعُلَمَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ فِي عَصْرِهِ، مُسْتَهْضًا هِمَمَهُمْ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ، وَالْقِيَامَ بِالرَّاجِبِ الْمُلْتَمَى عَلَى عَوَاقِبِهِمْ نَحْوَ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَقَالَ:

هَلْ نَسْمَعُونَ مَعَاشِرَ الْعُلَمَاءِ إِلَّا
نُصْفُونَ نَحْوَ مَقَالَتِي وَبِذَائِي؟
بِاطْلِبِي عِلْمَ الشَّرِّ بَعْدَ فَانْهَضُوا
وَادْعُوا عِبَادَ اللَّهِ بِاسْتِهْذَاءِ

انحسروا بهم نحو الصراط المستقيم
م ورفض كل طريقة صوّجاء
عن دينهم وفي غفلة صمياء

وقد أطال في ذلك، وبهذا نكتفي.

ولعل في هذه المقتطفات من هاتين القصيدتين كفاية كنماذج جية من شعر
الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله، والتي تدل على تدفق شاعريته، وجودة شعره
الإسلامي وسمو غاياته.

أعماله:

عندما لمس الشيخ عبد الله القرعاوي تفوق تلميذه حافظ ونوعه العلمي
أقامه مدرّساً لزملائه، والمستجدين من التلاميذ، فألقى عليهم دروساً نافعة
استفادوا منها فائدة كبرى.

ثم عينه شيخه في سنة ١٣٦٣ هـ مديراً لمدرسة (صامطة) السلفية - أول
مدرسة افتتحها الشيخ في المنطقة لطالب العلم -، وأسند إليه أمر الإشراف
على مدارس القرى المجاورة.

وانسعت بعد ذلك مدارس الشيخ في منطقتي (تھامة وعسير) فما من مدينة
أو قرية إلا وأسّس بها مدرسة أو أكثر تُدرّس العلوم الإسلامية، وجعل بها من
تلاميذه من يقوم بالتدريس فيها، ويتولّى شئون إدارتها.

ولما كان الشيخ يقوم في فترات معدّدة بجولات على مئات المدارس التي

كَانَ قَدْ أَسَّسَهَا فِي الْمَنَظِقَةِ جَعَلَ تَلْمِيزَهُ الْأَوَّلَ الشَّيْخَ حَافِظَ الْحَكَمِيِّ مُسَاعِدًا لَهُ
يَتَوَلَّى الإِشْرَافَ عَلَى سَيْرِ التَّعْلِيمِ وَأُمُورِ الإِدَارَةِ أَثْنَاءَ تَجَوُّالِ الشَّيْخِ عَلَى
مَدَارِسِهِ، فَهَضَمَ حَافِظٌ بِالْعِبَادَةِ الْمُتَقَنِّ عَلَى عَائِقَتِهِ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ خَيْرَ الْأَدَاءِ.
ثُمَّ تَنَقَّلَ الشَّيْخُ حَافِظٌ - لِلْقِيَامِ بِرَاجِيهِ مَعَ شَيْخِهِ - فِي عِدَّةِ أَمَاكِنَ، مِنْهَا قَرْيَةٌ
(السَّلَامَةُ الْعُلْيَا) وَمَدِينَةُ (أُمِّ الْحَسَنِ) فِي الْجُزْءِ الشَّمَالِيِّ مِنْ مَنَظِقَةِ (جَارَان)
وغيرهما، عَادَ بَعْدَهَا إِلَى مَدِينَةِ (صَامُطَةَ) مَرَّةً أُخْرَى يُدِيرُ مَدَارِسَهَا، وَيُسَاعِدُ
شَيْخَهُ فِي تَحْمِيلِ الْمَسْئُولِيَّةِ وَالْإِشْرَافِ عَلَى سَيْرِ التَّعْلِيمِ وَمَوَاصِلَةِ تَدْعِيمِ مَهَامِ
الدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ.

وَهَكَذَا مَضَى الشَّيْخُ حَافِظٌ يُؤَدِّي وَاجِبَاتِهِ فِي سَبِيلِ التَّهَوُّضِ بِأَبْنَاءِ مَنَظِقَتِهِ،
وَلِيرْفَعِ مِنْ مُسْتَوَاهُمُ الثَّقَافِي وَالْاجْتِمَاعِي، وَلِيُقَيِّدَهُمْ مِنْ عِلْمِهِ قَدْرَ مَا يَسْتَطِيعُ،
فَقَدْ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ طُلَبَةُ الْعِلْمِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ لِيَسْتَلِمُوا عَلَى يَدَيْهِ فَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ
فَائِدَةً عَظْمَى، وَمِنْ طَلَبَتِهِ الْآنَ عُلَمَاءُ أَفْضَلُ يَتَوَلَّوْنَ مَنَاصِبَ الْقَضَاءِ وَالتَّدْرِيسِ
وَالرُّعْظِ وَالْإِشْرَافِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْمَنَظِقَةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَغَيْرِهَا.

وَفِي سَنَةِ ١٣٧٣ هـ افْتُتِحَتْ وَزَارَةُ الْمَعَارِفِ السُّعُودِيَّةِ مَدْرَسَةً ثَانِيَةً بِ(جَارَان)
عَاصِمَةِ الْمَنَظِقَةِ، فَعَيَّنَ الشَّيْخُ حَافِظٌ أَوَّلَ مُدِيرٍ لَهَا فِي ذَلِكَ الْعَامِ.

ثُمَّ افْتُتِحَ مَعَهْدٌ عِلْمِيٌّ تَابِعٌ لِلإِدَارَةِ الْعَامَّةِ لِلْكَلِمَاتِ وَالْمَعَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ آنَ ذَاكَ
(جَامِعَةُ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَالِيًا) بِمَدِينَةِ (صَامُطَةَ) فِي عَامِ
١٣٧٤ هـ، فَعَيَّنَ الشَّيْخُ حَافِظٌ مُدِيرًا لَهُ، فَقَامَ بِعَمَلِهِ هَذَا خَيْرَ قِيَامٍ، وَكَانَ يُبْقِي فِيهِ

بعض المحاضرات ويأتي على ثلاثه الكثير من المعلومات الشرعيّة
والتفويّة المفيدة، ويضع لهم المذكرات الدراسية للفنون التي لم تُقرر لها كتب
علميّة وفق المناهج المحددة، كان يملأها أحياناً بنفسه، وقد يملأها عن طريق
المدرسين بالمعاهد أحياناً أخرى.

صغاته:

قال الشيخ القاضي علي القيفي في «السبط الحاوي لأسلوب الداعية»
الشيخ عبد الله الفرعائي «في نشر التعليم في جنوب المملكة، في وصف
الشيخ حافظ - رحمه الله تعالى -: «كان - رحمه الله تعالى - ربعة، أَسَمَر اللون،
مُسْتَبِير الوجه، مُفَلِّحُ الأَسنان، خَفِيفُ اللحية والعارِضين، أَوْرَنَ الحَاجِجَين،
يَلْبَسُ الخَشِيشَ مِنَ الثَّياب، يَتَمَتَّعُ بِخُلُقٍ عَرَبِيٍّ مُسْلِمٍ رَفِيعٍ مِنَ الكَرَمِ والشَّهَادَةِ،
وَالجَلَمِ والتَّواضع، وَلَطِيفِ المَعاشِرَةِ، يُحِبُّ الدُّعَاةَ، وَالْمُلُحَّ، وَالطَّرَائِفَ،
وَنَعِيجَةَ النُّكَّةِ المَهْدِيَةِ مَعَ بَنَاهِ وَجْدٍ وَقُوَّةٍ مَلَا حَظَّةً وَبَعْدَ نَظَرٍ.

ويُحَارِسُ بَعْضَ الأَلْعَابِ الشَّعْبِيَّةِ أحياناً مَعَ زُمَلَائِهِ وَطُلَّابِهِ، وَيَتَفَوَّقُ عَلَيْهِمُ
فِي المُسَابَقَةِ عَلَى الأَقْدَامِ، وَالْمُرَافَعَةِ وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ المَصَارَعَةِ، وَالْمُحَادَّةِ وَهِيَ
نَوْعٌ مِنَ القَفْزِ، وَفِي لُمِيَّةِ السَّيْفِ.

وَكَانَ حَادَّ الدَّاهِنِ، قَوِيَّ المَذَاكِرَةِ، وَكَانَ سَرِيعَ القِرَاءَةِ والفَهِمِ وَالْحِفْظِ،
خَاصِرَ البِدِيَّةِ، ثَاقِبَ الرَّأْيِ، صَادِقَ الفِرَاسَةِ، حَيِّياً، وَرِعاً، عَابِداً، رَاحِداً، خَازِناً،
صَارِماً فِي اتِّخَاذِ القَرَارِ، دَا صَوِيَّتَ حَسَنِ بالقِرَاءَةِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَتْ تَسْبِيحُهُ حَسَابِيَّةً لِي

الشَّعْبِ الْهَوَالِيَّةِ، وَنَسَبَ لَهُ مُطَالَمًا وَبُحْدًا، وَخُشُوعًا فِي نُبْرَاتِهِ الْعَمُورِيَّةِ.

وَيَقُولُ شَيْقِيَّةُ الْكَبِيرِ الشَّيْخِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ فِي رِسَالَةٍ وَجَّهَهَا إِلَى ابْنِ أَخِيهِ أَحْمَدَ بْنِ الشَّيْخِ حَافِظَ، يَصِفُ الشَّيْخَ حَافِظًا: «كَانَ تَخَلُّلُهُ عَلَى جَانِبِ كَثِيرٍ مِنَ الزُّرُوعِ وَالْكَرْمِ وَالْعَقِيَّةِ وَالْقُرُونِ، قَوِيَّ الْإِيمَانِ، شَدِيدَ التَّمَسُّكِ، ضِدًّا عَا بِالْحَقِّ، يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَّبِعُ صُنْهَ، لَا تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَئِيمٌ.

كَانَتْ مَجَالِسُهُ دَائِمًا عَامُورَةً بِالذُّرْسِ وَالْمَذَاكِرَةِ وَتَحْصِيلِ الْعِلْمِ، تَعَصَّرَ بِطُلَّابِهِ فِي الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ وَالْمَدْرَسَةِ، لَا يُعْمَلُ حَدِيثُهُ، وَلَا يَسَامُ جَلِيسُهُ.

كَانَ جُلَّ أَوْقَاتِهِ مُتَلَاذِمًا لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى التَّدْرِيسِ وَالتَّأْلِيفِ وَالْمَذَاكِرَةِ.

وَكَانَ خَفِيفَ النَّفْسِ يُحِبُّ الرِّيَاضَةَ وَالِدُعَابَةَ وَالْوِرَاحَ مَعَ زُمَلَائِهِ وَطُلَّابِهِ وَزُورَارِهِ، مِمَّا يَجْذِبُ قُلُوبَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَيُحِبُّ إِلَيْهِمْ مُجَالَسَتَهُ وَالِاسْتِيفَادَةَ مِنْهُ.

فَكَانَ الشَّيْخُ حَافِظُ الْحَكَمِيِّ تَخَلُّلُهُ مِمَّا لَا يُعْتَدَى إِلَيْهِ طَالِبِ عِلْمٍ يُرِيدُ التَّحْصِيلَ وَالْعِلْمَ النَّافِعَ، وَكَانَ مِمَّا لَا إِلَيْهِ عَالِمٌ جَلِيلٌ مُتَوَاضِعٌ يُحِبُّ لِتِلَاذِيذِهِ وَزُمَلَائِهِ كُلَّ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ.

وَقَاتِلُهُ.

لم يزل الشيخ حافظ مديراً لمعهد صامطة العلمي حتى حجَّ في سنة ١٣٧٧ هـ. وبعد انتهائه من أداء مناسك الحج لبيَّ نداء ربه في يوم السبت الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧ هـ بمكة المكرمة على أثر مرض ألمَّ به، وهو في ريعان شبابه؛ إذ كان عمره آنذاك خمسيناً وثلاثين سنة ونحو ثلاثة أشهر، ودُفن بمكة المكرمة رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وقد كان وقع خبر وفاته على شيخه وعلى أهله وزملائه وأصدقائه وتلاميذه شديداً، والمصيبة به فادحة، وقد رثاه بعض تلاميذه رثاءً حاراً يعكس مدى الفاجعة التي أصابتهم بموته، من ذلك قصيدة للشيخ الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، يقول في أولها:

لَقَدْ دَوَّى عَلَى (الْمُخْلَافِ) صَوْتُ
تَفَجَّعَتِ الْجَنُوبُ وَسَالَكُنُوهَا
وَدَاصَتْ فِي الدُّنَا صَيَحَاتِ خَطْبٍ
فَكَفَّكَتِ الدُّمُوعُ عَلَى فَقِيدٍ
وَأَحْيَا فِي الرُّبُوعِ بُيُوتَ عَلِمٍ
أَحَافِظُ كُنْتُ لِلْعَلَمَاءِ قُطْبَا
وَبَحْرًا فِي الْمُلُومِ بِعِيدَ ضُورٍ
كَثِيرَ النُّفَعِ قَوْمًا إِمَامَا

وَمَا مَسَّكُمْ فَمِنْهُمْ جُحُومٌ مَسَّارٌ يُضْفِيءُ دُرُوبَنَا وَبَهَا أَقَامَا
وَمِنْ رَأَاهُ أَيْضًا تَلْمِيزُهُ الْأَسَازِدُ إِبْرَاهِيمَ حَسَنَ الشَّعْبِيِّ بِقَصِيدَةٍ نَقَطَتْ مِنْهَا

قوله:

وَخَلَّفَ خَسْرَةً لِي فِي الْفَوَادِ
تُوْفِّي حَافِظُ رُكْنِ السِّيلَادِ
وَقَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ ذَرْعًا
وَسَاءَ الْحَالُ مِنِّي حِينَ وَأَفَى
لَقَدْ كُنْتُ الْمَقْدَمَ فِي الْمَرَايَا
وَكُنْتُ الْقَائِدَ الْمَدْعُوفِينَ
سِلَاحٌ لِلْمَشَاكِلِ كُنْتُ قَدَمًا
وَنُفِي كُلِّ الْعُلُومِ مَدَدَتْ بَأَصَا
وَهَمَّ شُكَّ الْعِلْمِيَّةِ فِي إِزْدِيَادِ
وَمَصْبَاحُ الْبُحُورِ بِكُلِّ وَادِي
فَمَنْ نَخَعَارُ بَعْدَكَ لِلْقِيَادِ؟
مِنْ الْخَيْرَاتِ يَا قُطْبَ النُّوَادِي
وَمَصْبَاحُ الْبُحُورِ بِكُلِّ وَادِي
وَهَمَّ شُكَّ الْعِلْمِيَّةِ فِي إِزْدِيَادِ
هَذَا كُلُّهُ، وَكَانَ عَمْرُهُ حِينَ مَاتَ ٣٥ سَنَةً، وَنَحْوُ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، فَمَاتَ فِي
رَبْعَانِ شَبَابِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -، وَلَمْ يَبْلُغْ حَدَّ الْكُفُولَةِ بَعْدَ، وَخَلَّفَ مَا خَلَّفَ
مِنَ الْأَثَارِ الْعِلْمِيَّةِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي يُقْبَلُ عَلَيْهَا طُلَّابُ الْعِلْمِ، يَنْهَلُونَ مِنْ مَعِينِهَا،
وَيَتَوَفَّرُونَ عَلَى فَهْمِهَا، وَذَلِكَ لِجِدَّةِ وَإِخْلَاصِهِ فِي الطَّلَبِ.

وَأَمَّا نَفْعُ تَرْجَمَتِهِ وَكَذَا مَا يَكُونُ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى مَا صَنَعَ شَيْخُهُ الْقِرْعَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ،
وَهُوَ بَاعَثَ النُّهْضَةَ الْعِلْمِيَّةَ الْحَدِيثِيَّةَ السَّلَفِيَّةَ الْعَقْدِيَّةَ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ فِي
جَنْبِ الْمَمْلَكَةِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الطُّلَّابِ وَالتَّلَامِيذِ وَمِنَ الثَّمَرَاتِ سِوَى
حَافِظِ الْكَفَّاهِ؛ فَرَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً.

ولقد خلف الشيخ رحمه الله بعد رحيله مكتبة علمية كبيرة عامرة بكل علم وفن، أوصى بأن تكون وفقاً على طلاب العلم ورواد المعرفة، فُضِّت إلى معهد صامطة العلمي لينتفع بها المدرسون والطلاب، ولتبقى تحت إشراف إدارة المعهد.

كما خلف من تأليفه آثاراً علمية نافعة في كثير من الفنون الإسلامية، لا يستغني عنها كل طالب علم، وستأتي الإشارة إليها.

مؤلفاته:

له - رحمه الله تعالى - مؤلفات عديدة، في التوحيد، ومصطلح الحديث، والفقه وأصوله، والفرائض، والتاريخ، والسيرة النبوية، والنصائح والوصايا والآداب العلمية، من هذه المؤلفات ما هو منظوم، ومنها ما هو مثور.

أ- في التوحيد:

١- (سلم الوصول، إلى علم الأصول، في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ)

أرجوزة في أصول الدين، مطلعها:

أَبْدَأُ بِأَنْسَمِ اللَّهِ مُسْتَعِينًا رَاضٍ بِهِ مُدَبِّرَ أُمُومِنَا

انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢ هـ، وهي أول ما ألف. وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣ هـ كتبها رحمه الله، أو نظمها وهو دون العشرين.

٢- (معارج القبول، بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - في التوحيد) وهو شرح مطول لأرجوزة (سلم الوصول) - المتقدم ذكرها -، انتهت من تأليف الشرح في سنة ١٣٦٦ هـ ويقع في مجلدين كبيرين، تزيد صفحاتهما في طبعته الأولى عن ألف ومائة صفحة.

وهذا الكتاب من أهم آثار الشيخ وأشهرها وأغناها عن التعريف، ويتمتع بقيمة علمية كبيرة بين طلاب العلم وأساتذة الجامعات الإسلامية، وقد دأبت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية زمنًا طويلاً على توزيعه مجاناً على خريجي الكليات وعلى المدرسين والقضاة، إنما فيه من فوائد جمّة، ولما يحويه من معلومات قيمة في موضعه وموضوعه، ولحسن عرضه وتبويه، واستيفائه لكثير من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح بما لا يدع زيادة لمستزيد.

٣- (أعلام السنة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) كتاب مؤلف على طريقة السؤال والجواب، انتهت من تأليفه في غرة شهر شعبان سنة ١٣٦٥ هـ وطبع طبعته الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ٦٧ ص).

٤- (الجوهرة الفريدة، في تحقيق العقيدة) منظومة دالية، مطلعها:
عَمْدٌ لَهُ لَا يُعْصَى لَهُ عَدَدٌ وَلَا يُحِيطُ بِهِ الْأَقْلَامُ وَالْوَسَدُ
طُبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣ هـ (في ١٩ ص).

ب- في المصطلح:

٥- (دليل أرباب المصطلح، لتحقيق فن الاصطلاح) كتاب جليل حاول في مصطلح الحديث، طبع طبعه الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤ هـ (في ١٧٤ ص).

٦- (اللوامع المكنون، في أحوال الأسانيد والمتون) منظومة، مطلعها:

الْحَمْدُ كُلُّ الْحَمْدِ لِلرَّحْمَنِ فِي الْفَضْلِ وَالنِّعْمَةِ وَالْإِحْسَانِ

انتهى من نظمها في سنة ١٣٦٦ هـ وطبع طبعها الأولى بمكة المكرمة

(في ١٨ ص).

ج- في الفقه:

٧- (السبل السوية، لفقه السنن المروية) منظومة طويلة في الفقه وفق أبوابه

المعروفة، مطلعها:

أَبْدَأُ بِاسْمِ خَالِقِي مُحَمَّدٍ لَا مُجَسِّلًا مُكْتَفِيًا مُحَرِّقًا

طبع طبعها الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ١٣٤ ص).

د- في أصول الفقه:

٨- (وسيلة الحصول، إلى مهمات الأصول) منظومة في أصول الفقه،

مطلعها:

الْحَمْدُ لِلْعَدْلِ الْحَكِيمِ السَّامِعِ الْمُسْتَعَانَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

انتهى من كتابتها في سنة ١٣٧٣هـ، وتقع في ٦٤٠ بيتاً. طبعت طبعها الأول بمكة المكرمة د.ت (في ٣٥ ص).

٩- متن (لامية المنسوخ) منظومة لامية الروي في النسخ وما يدخله من الكتب المفهية، مطلعها:

الْحَمْدُ لَهُ فِي الدَّارَيْنِ مُتَّحِلٌ هُوَ السَّلَامُ فَلَا تَقْضُ وَلَا عِلَلٌ
طبعت طبعها الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ١٠ ص).

هـ- في الفرائض:

١٠- (النور الفائق، من شمس الوحي، في علم الفرائض) رسالة منشورة في علم الفرائض، انتهت من كتابتها في ١٥-٨-١٣٦٥هـ، وطبعت طبعها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ٤٦ ص).

و- في التاريخ والسيرة النبوية:

١١- (نيل السؤل، من تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ) منظومة تاريخية، تزيد أبياتها عن (٩٥٠ بيتاً)، مطلعها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُهِيمِ الْوَاحِدِ الْوَاحِدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ
طبعت طبعها الأولى بمكة المكرمة (في ٥٢ ص).

ز- في النصائح والوصايا والآداب العلمية:

١٢- نصيحة الإخوان المشهورة بـ (القافية)، وعنوانها: (هذا سؤال بشأن

الغات والدخان والشمعة)، وهي قصيدة ثانية، مطلعها:

حَمْدًا لِلَّهِ وَسُبْحًا لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
حَمْدًا عَلَىهَا بِأَطْلَافٍ خَفِيَّاتٍ

وقد طبع معها رد عليها لأحد أهل اليمن، ثم جواب الشيخ عليه، وفي الجواب الأخير فوائد جلية. وقد طبع طبعها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤ هـ (في ١٥ صفحة).

١٣ - (المنظومة الميمية، في الوصايا والآداب العلمية) قصيدة ميمية رائعة

في الحث على العلم وطلبه والتمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مطلعها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى
الْآلَةِ وَهُوَ أَهْلُ الْحَمْدِ وَالنَّعَمِ

طبع طبعها الأولى بمكة المكرمة د.ت في (١٤ ص).

وقد طبع جميع هذه الكتب من مؤلفات الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله طبعها الأولى - ما أَرخ منها وما لم يَرخ - في سني ١٣٧٣ هـ - ١٣٧٤ هـ على نفقة جلالة الملك سعود بن عبد العزيز بمطابع البلاد السعودية بمكة المكرمة، عدا كتاب (معارض القبول) الذي طبع طبعته الأولى د.ت (نحو سنة ١٣٧٧ هـ) في المطبعة السلفية بمصر.

وله أيضًا بعض الرسائل والمنظومات، أهمها:

١ - (مفتاح دار السلام، بتحقيق شهادتي الإسلام).

٢ - (شرح الورقات، في أصول الفقه - لأبي المعالي الجويني).

٣- (همزية الإصلاح، في تشجيع الإسلام وأمله، والتمسك كل التمسك

بأساسه وأصله).

٤- (مجموعة خطب للجمع والمناسبات الدينية).

وكل مؤلفاته رحمه الله تُعطيك الدليل الواضح على مكانته العلمية، وعلى تعمقه في كثير من جوانب المعرفة، وهي كتب قيمة يكفي للدلالة على جودتها رقيمتها أن بعضها عرض على فضيلة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله مفتي الديار السعودية آنذاك، فاستحسنها واستجادها وأشار لي الحكومة بطبعها وتوزيعها حتى يستفيد منها الخاصة والعامة على السواء، ما فيها من فوائد جمّة، ونصائح عامة نافعة لجميع المسلمين في دينهم ودنياهم، ولأنها تحضهم على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الأمين ﷺ وعلى باع السلف الصالح والأئمة المبرزين من علماء المسلمين.

فَرَحِمَ اللهُ تَعَالَى حَافِظَ الحَكَمِي رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَأَسْكَنَهُ جَنَاتِهِ، وَجَزَاهُ مَا قَدَّمَ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَغَفَرَ لَهُ وَلَوْ الدِّيَةَ وَلَشَيْخَهُ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ^(١).



نُبذة عن المؤلف

وأما ما يتعلق بالمؤلف، فهذا الكتاب الذي بين أيدينا، هو «أعلام السنة المنشورة»، تبرز أهميته من أهمية العلم الذي يبحث فيه، فهو يبحث في علم التوحيد، الذي دعت إليه الرسل، وأنزلت من أجله الكتب.

وقد أشار الشيخ حافظ إلى أبرز موضوعات كتابه، وإلى أهميته فقال:

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا مُخْتَصَرٌ جَلِيلٌ نَافِعٌ، عَظِيمُ الْفَائِدَةِ، جَمُّ الْمَنَافِعِ، يَشْتَمِلُ عَلَى قَوَاعِدِ الدِّينِ، وَيَتَضَمَّنُ أَصُولَ التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، وَلَا نَجَاةَ لِمَنْ بَغِيْرَهُ يَدِينُ، وَيَدُلُّ وَيُرْشِدُ إِلَى سُلُوكِ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَمَنْهَجِ الْحَقِّ الْمُسْتَبِينِ، شَرَحْتُ فِيهِ أُمُورَ الْإِيْمَانِ وَخِصَالَهُ، وَمَا يُزِيلُ جَمِيعَهُ أَوْ يُنَافِي كَمَالَهُ، وَذَكَرْتُ فِيهِ كُلَّ مَسْأَلَةٍ مَصْحُوبَةٍ بِدَلِيلِهَا؛ لِيَتَّضِحَ أَمْرُهَا، وَتَتَجَلَّى حَقِيقَتُهَا، وَيَبِينَ سَبِيلُهَا.

وَاقْتَصَرْتُ فِيهِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِتِّبَاعِ، وَأَهْمَلْتُ أَقْوَالَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْإِبْتِدَاعِ... إِلَى آخِرِ مَا قَال.

هذا إيجاز لأهم موضوعات هذا الكتاب، رتب الشيخ حافظ **رحمته الله** كتابه،
أعلام السنة على طريقة السؤال والجواب؛ ليسهل على الطلاب، لأنه ألفه
للطلاب، وقد بدأ تلك الأسئلة بقوله:

س ١: مَا أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ؟

ج: أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ: مَعْرِفَةُ الْأَمْرِ الَّذِي خَلَقَهُمُ اللَّهُ لَهُ...

وتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة، في تحقيق الأمر الذي خلق العبد له،
ومعنى العبد، وما يتعلق بشروط العبادة، ومراتب الإسلام، من الإسلام
والإيمان والإحسان، وتعريف كل مرتبة مع بيان أركانها، ومعنى كل ركن.

وقد أطل الشيخ الحديث في ركن الإسلام الأول الشهادتين، فبين شروط
الشهادة أن لا إله إلا الله، ودليل كل شرط، ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله،
ومقتضاها.

وأطل الشيخ الحديث في ركن الإيمان الأول، يعني: الإيمان بالله، وفيه
تحدث عن أقسام التوحيد، توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات،
وتوحيد الألوهية، وقد قرن كل مسألة بدليلها، من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله
ﷺ، وقد شغل هذا الركن ما يزيد عن ربع الكتاب.

وتحدث الشيخ عن بقية أركان الإيمان الستة، فبدأ بالإيمان بالملائكة،
موضحاً دليل الإيمان بهم من الكتاب والسنة، ذاكراً بعض وظائفهم.

وتحدث الشيخ عن الإيمان بكتب الله المنزلة، مبيّنًا منزلة القرآن الكريم من تلك الكتب، وما يجب على الأمة الإسلامية تجاه القرآن، وحكم من قال بخلقه، وبين ما يتعلق بإثبات صفة الكلام لله تعالى على ما يليق بجلاله - جل وعلا -.

وتحدث الشيخ حافظ عن الإيمان بالرسول - عليهم الصلاة والسلام - موضحًا دليل ذلك، ومعنى الإيمان بالرسول، ومواضع اتفاق دعوتهم، ودليل اتفاقهم في أصل العبادة لله تعالى، وبين اختلاف شرائعهم في الفروع، وبين من هم أولو العزم من الرسل، وأولهم، وخاتمهم، وبين معجزات الأنبياء، ومعجزة نبينا محمد ﷺ، ودليل إعجاز القرآن الكريم.

وتحدث عن الإيمان باليوم الآخر مُوردًا دليله ومعناه، وما يدخل فيه من أشراف الساعة وأماراتها، والإيمان بالموت وما بعده، من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والنفخ في الصور، وما يكون يوم القيامة من الأهوال، وبين تفاصيل المحشر، والميزان والحوض، والشفاعة والصراط، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وتفاصيل تلك المباحث وأدلتها.

وتحدث الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عن الإيمان بالقدر، مبيّنًا دليل الإيمان به، ومراتبه الأربعة، يريد العلم والكتابة والمشية والخلق، وذكر دليل كل مرتبة، وما يدخل في مرتبة الكتابة من التقادير، وبين دليل ذلك، وما ورد عن الكتاب والسنة من الأدلة في إثبات القدرة ومشية العباد على أفعالهم المضافة إليهم، وردّ على الجبرية والمرجئة في ذلك.

وختم الشيخ مبحث أركان الإيمان بالحديث عن شعب الإيمان ناقلاً ذلك من فتح الباري للحافظ ابن حجر **رحمه الله**، وتحدث عن الإحسان، ثم تحدث عن ما يناقض الإيمان من الكفر بأقسامه، والظلم والنفاق والفسوق، مع التمثيل لكل قسم، وبيان دليله.

وتحدث عن السحر والكهانة والتنجيم وما يتفرع عنها.

وتحدث عن المعاصي مبيناً قسميها من صغائر وكبائر، مع تعريف كل قسم وذكر بعض أمثلتها، وما يكفره من التوبة وغيرها، وبين حكم من مات من الموحدين مصرّاً على كبيرة، وهل الحدود مكفرة للذنوب من أتى بها، مع الجمع بين أدلة الوعيد وأدلة الرجاء.

وتحدث عن البدع، فعرفها، وبين أقسامها، وذكر حكم كل قسم.

وختم الشيخ كتابه، ببيان واجب المسلم تجاه أصحاب رسول الله **ﷺ**، فبين مناقبهم وفضائلهم، وذكر الأدلة على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي **رضي الله عنهم**، إجمالاً وتفصيلاً، وعرج على حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحكم كرامات الأولياء معرّفاً به.

وأخر سؤال، قال فيه: مَنْ هِيَ الطَّائِفَةُ الَّتِي عَنَاهَا النَّبِيُّ **ﷺ** بِقَوْلِهِ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -» ^(١).

(١) أخرجه مُسْلِمٌ (١٩٢٠).

وتبين أنها الفرقة الناجية لها أهل السنة والجماعة - حفظنا الله تعالى جميعاً منها - وودع الله تعالى فقال: **تَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ بَعْضًا يَلْعَنُ إِنْ هَدَانَا. وَلَئِنْ نَبَّأْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا مَا تَنْهَى عَنْهُ يَلْعَنُ إِنْ هَدَانَا** فقال: **وَالَّذِينَ يَلْعَنُونَ أَكْثَرُ مِنْ أَكْثَرِ مَا تُحْسِنُ وَكَأَنَّهُمْ عَلِيمُونَ بِالَّذِي يَرْتَدُونَ**

وجاء في ختام الكتاب قوله تعالى:

يقول جامع: عظم الله تعالى له والوالدين فرغت من تجميعه وذكر التاريخ على عادة المصنفين في مصنفاتهم من سلفنا الصالحين وعلماؤنا العلماء العاملين رحمهم الله تعالى أجمعين.

من هذا التطواف، تبين لنا قيمة هذا الكتاب العلمية، فقيمه تعظم في

أموره:

أولاً: ما يحمله من معتد صحيح سليم، فلا يوجد في هذا الكتاب مسألة خرج فيها المصنف عن العقيدة الصحيحة.

وأيضاً شموله لجمال عقيدة أهل السنة والجماعة في أبوابها، لأن مصنفه **رحمته** جعله في ترتيب أصول الإيمان في حديث جميل **الشيء** المشهور، بذكره بالإيمان بالله تعالى، واختتمه بالقدر، وفيه ثمانية عشر بحوث عظيمة.

ومما يبين قيمة هذا الكتاب العظيم دقة الفاظهم، واختصارها مع عظم ما يبحثه وكثرة الكلام فيه، مع رطبه للمسائل بأدلتها الصريحة، حتى إنه لم يذكر مسألة إلا وأردفها بالأدلة الصريحة من الكتاب ثم من السنة الثابتة عن النبي **ﷺ**.

يظهر من النظر في هذا الكتاب حسن ترتيبه بين المسائل والأدلة، ويظهر أيضًا تجنبيه لحشو الكلام، ويظهر تجنبيه لِمَا لَا فائدة فيه، أو لِمَا تَقِلُّ فائدته.

ويظهر قيمة الكتاب العلمية من جعل الكتاب، كتاب تقرير وعرض، لا كتاب ردود واعتراض ونقض، لهذا ترى فيه: اختصاره على مذاهب أهل السنة، وترى إعراضه عن أضاليل المبتدعة، وهذا مهم جدًا عند تحصيل علم العقيدة، علم التوحيد، للطالب المبتدئ؛ لأنه لو أُلقي به في خضم الخلافات بين أهل السنة والمخالفين من أهل البدع والأهواء، مع التقريب والردود والاعتراضات وما أشبه؛ فإنه لا بد أن يغرق، ولن يستطيع أن يجمع الأصول العامة.

وقد مرَّ قديمًا ذكر أمر مهم: هو أن لكل علم خارطة طريق، ينبغي على الإنسان أن يضع يده عليها، تمامًا كما ينزل الغريب ديارًا لم يألفها قبل، وفيها غريب الوجه واللون واللسان، فهو يحتاج إلى خارطة طريق، إذا كانت معه خارطة طريق، وكان بها علميًا، يفك مغالقتها، ومعه مفاتيحها، فإنه يستغني عن السؤال، ويمضي على السنن من غير ما عوج.

وأما إذا فقد ذلك فلا بد أن يضل، وأن يدخل التيه بعد التيه، وأن يسأل الصالح والطالح، وأن يتردد كاليتيم بين أيدي اللئام.

كذلك الشأن عند النظر في العلوم، فإذا لم تكن معك خارطة طريق العلم لذي تحاوله وتزاوله وتعالج مسائله، وقعت في التيه، وربما وقعت في التشويش، ربما خرجت بنقيض المقصود، وربما صارت الأمور لديك معكوسة، ولا تستطيع

بعد ذلك أن تضع قدمك على الصراط المستقيم.

كان هذا الأمر يقوم به قَبْلُ من سلفنا الصالحين العلماء الربانيون، فكانوا يلزمون الطلاب في مستويات متعددة بما ينبغي أن يحفظ، وبما ينبغي أن يدرس، وما ينبغي أن يُتوفر عليه ليفهم، إلى غير ذلك من طرائقهم في مراتب طلب العلم، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

لذلك كان الطلاب النبهاء كثيرين، وكان العلماء متوفرين، وأما الآن فيندر أن تجد طالباً نابهاً، وإن كانوا متوفرين في بعض الأماكن، ولكنهم في الجملة كحبة الرمل في الصحراء، لا زرع فيها ولا ماء، كقطرة الماء العذب في البحر اللجي المتلاطم بأمواجه.

فالشيخ - رحمه الله تعالى - أعطاك هاهنا خارطة طريق لعلم التوحيد، فعلى هذا الأساس فابن، إذا ما نظرت إلى ما أَلَفَه قَبْلَ الشيخ حافظ بقرون شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - في العقيدة الواسطية، وجدت النَّفْسَ النَّفْسَ، والمنهجَ المنهجَ، والطريقَ الطريقَ، فهي أصول كلية عامة لعقائد أهل السنة والجماعة، ومذاهبهم في التوحيد والعقيدة.

يقع طالب العلم أحياناً في تضخيم السير، أو في تكثير القليل، على حساب ما ينبغي أن يُكثَّرَ، وما ينبغي أن يُقَلَّلَ، فيقع في كثير من الأمور التي لا تُؤدِّي إلى المراد والمطلوب.

فمثلاً في هذا العصر، قام كثيرٌ ممن يُدرِّسون علم التوحيد بالعُكُوف على

باب من أبواب كتب العقيدة وما يتعلق بولي الأمر، فأعادوا وأبدؤا، وحقَّ لهم، ولكنه فصل في كتاب، فأهملوا سائر الأبواب، حتى صار العوام يحملون على طلاب العلم من أهل المنهج من السلفيين الأفحاح، ويقولون لهم: ليس وراءكم سوى الكلام عن الحاكم والحكومة والخروج وما أشبه، أنتم عبيد الطواغيت، أنتم عبَاد الطاغوت، كما قال الذي لا يُؤسَفُ على عُمُرِهِ محمد عبد المقصود، وذلك إنما وقع من الخلل في تناول والعرض، باب في كتاب، فليكن في موضعه، ولينظر في سائر الأبواب، فتكتمل العقيدة حينئذٍ، وإلاَّ صارت مسخًا ثائثًا يُنفر منه ويُصد عنه.

على كُلِّ حَالٍ: كتاب الشيخ حافظ - رحمه الله تعالى - كتاب تقرير وعرض، ليس بكتاب ردود واعتراض ونقض، لهذا ترى فيه: اختصاره على مذاهب أهل السنة، وإعراضه عن أضاليل المبتدعة، وقد يشير عند الحاجة إلى خلاف بعض المبتدعة، إذا كان ظاهر الشَّاعة، كقوله في مسألة العلو: (وقد أقرَّ بذلك جميع المخلوقات إلاَّ الجهمية - حتَّى الحيوانات أقرَّت بالعلو للعلي الغفار -، بهم لم يقرؤا بعلو الرب - جل وعلا - علو ذات).

الكتاب خلاصةٌ مُحَرَّرَةٌ، وَلِقَاوَةٌ مُنَقَّحَةٌ لشرح الشيخ - نادرة العصر **رَحِمَهُ اللهُ** - باب الكريم النافع المانع «معارج القبول بشرح سلم الأصول»، لذلك تراه قد ل في غير موضع في هذا الكتاب على «المعارج».

كقوله في جواب السؤال التاسع بعد المائة: «وَقَدْ سُقْنَا مِنْهَا نَحْوَ سِتِّينَ حَدِيثًا

مِنْ طَرِقٍ ثَابِتَةٍ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ يَرْفَعُونَهَا، فِي شَرْحِنَا عَلَى (السُّلَمِ)».

وكقوله في جواب السؤال الثالث والثلاثين بعد المائة: «وَفِي الْبَابِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ صَرِيحَةٌ ذَكَرْنَا مِنْهَا فِي شَرْحِ (سُلَمِ الْوُصُولِ) خَمْسَةٌ وَأَرْبَعِينَ حَدِيثًا عَنْ أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا».

وكقوله في جواب السؤال الثامن والسبعين بعد المائة: «كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي شَرْحِ (السُّلَمِ)».

سلك مُصَنِّفُ هَذَا الْمُصَنَّفِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْهَجًا مِنْ أَنْفَعِ مَنَاجِجِ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَهُوَ مِنْهَجُ عَرْضِ السُّؤَالِ الْجَامِعِ الْمُفِيدِ الْوَافِي، ثُمَّ يَأْتِي بِالْجَوَابِ الْمُحْكَمِ الْكَافِي، وَهَذَا الْمَنْهَجُ مِنْ أَنْفَعِ مَنَاجِجِ التَّعْلِيمِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ السُّؤَالَ يُحَدِّدُ الْمَطْلُوبَ لِلسَّائِلِ، وَفِي الْجَوَابِ: بَيَانُ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَهَذِهِ أَقْصَرُ طَرِيقِ الْإِفَادَةِ، لِهَذَا كَثُرَ إِيْرَادُهُ وَاسْتِعْمَالُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَنِ وَالْمَطْهَرَةِ؛ يَعْنِي: السُّؤَالَ وَالْجَوَابَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجُ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢١٥] الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمْنَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ٤].

في ثلاثة عشر موضعاً بلفظ: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾.

وهذه في سؤال سائل وجوابه.

وقد كثر أيضاً مطالبتهم هم بالسؤال، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فاسألوا أنتم أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

وقد يُوجه إليهم هم السؤال ليجيبوا عنه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

ولابد في السؤال أن يكون نافعاً، بعيداً عن التكلف، وإلا فالإعراض عما لا ينفع هو الذي ينفع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُوكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْءَانُ بُدِّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [١١] قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠١-١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وأما السُّنَّة الثَّابِتة فيها من هذا المنهج - منهج السؤال والجواب - في التعليم والتربية شيءٌ كثير، بل فيها حديث هو أشهر الأحاديث في باب التعليم - تعليم الدين وأموره -، وهو حديث جبريل المشهور، وسؤاله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** للنبي **ﷺ** وجوابه **ﷺ** بالجواب الماتع العظيم، ثم قال **ﷺ** في آخره: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ»، وفي لفظٍ لمسلم: «هَذَا جِبْرِيلُ أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا»^(١).

فهذا المسلك العلمي سؤالاً نافعاً، وجواباً جامعاً مانعاً، مِيزةٌ عظيمةٌ في كتاب الشيخ - رحمه الله تعالى -.

وقد أعجب أهل العلم بكتاب الشيخ حافظ - رحمه الله تعالى -، وعظمتُ قيمةُ الكتاب عندهم، وما زالوا في أَفْيَاءِ دلائله أَهْلِينَ، وعند أَفنانِ مسائله الغَضَّةِ باقين، يقرءونه ويُقرئونه الطالبين، ويَحْفَظُونَهُ المتعلمين.

حتى إن الملك الفاضل سعود بن الإمام العادل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود - رحمه الله وأسلافه -، وأعان مَنْ بَقِيَ ووقفهم، أَمَرَ بطباعة هذا الكتاب، ورسائل أخرى للمؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ**، ضمن مجموع واحد على نفقته

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٠).

والكتاب الثالث في الفقه
والكتاب الرابع في الفقه
والكتاب الخامس في الفقه
والكتاب السادس في الفقه
والكتاب السابع في الفقه
والكتاب الثامن في الفقه
والكتاب التاسع في الفقه
والكتاب العاشر في الفقه

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ «أَهْلَامِ السُّنَّةِ الْمُنَشُورَةِ»:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقْدِرُونَ ۖ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿[الأنعام: ١-٣]﴾.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَنِينٌ﴾ ﴿٣﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿[البقرة: ١١٦-١١٧]﴾. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿[القصص: ٦٨]﴾. ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يُفَعَّلُ وَهُمْ يَسْتَلُونَ﴾ ﴿[الأنبياء: ٢٣]﴾.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، الَّذِينَ لَا يَنْحَرِفُونَ عَنِ السُّنَّةِ وَلَا يَعْدِلُونَ، بَلْ إِيَّاهَا يَقْتَفُونَ، وَبِهَا يَتَمَسَّكُونَ، وَعَلَيْهَا يُؤَالُونَ وَيُعَادُونَ، وَعِنْدَهَا يَقِفُونَ، وَعَنْهَا يَذُبُّونَ وَيُنَاضِلُونَ، وَعَلَى جَمِيعٍ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ وَقَفَا أَثَرُهُمْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا مُخْتَصَرٌ جَلِيلٌ نَافِعٌ، عَظِيمُ الْفَائِدَةِ، جَمُّ الْمَنَافِعِ، يَشْتَمِلُ عَلَى

قواعد الدين، ويتضمن أصول التوحيد الذي دعت إليه الرُّسُل، وأُنزلت به الكتب، ولا نجاه لمن يغيره يدين، ويذلُّ ويُرْسِدُ إلى سلوك المحجة البيضاء، ومنهج الحقِّ المسيسين، شُرِحت فيه أمور الإيمان وخصاله، وما يُزيل جميعه أو يُنافي كماله، وذكر فيه كلُّ مسألة مصخوبة بدليلها، ليُضحِّح أمورها، وتُجَلِّي حقيقتها، ويبين سبلها.

واقصرت فيه على مذهب أهل السنة والاتباع، وأهملت أقوال أهل الأهواء والابتداع؛ إذ هي لا تُذكر إلا للردِّ عليها، وإرسال سهام السنة عليها، وقد تصدَّى لكشف عوارها الأئمة الأجلة، وصنفوا في ردِّها وإبعادها المصنفات المستقلة، مع أنَّ الضدَّ يُعرف بضده، ويخرج بتعريف ضابطه وحده، فإذا طلعت الشمس لم يقتصر النهار إلى استدلال، وإذا استبان الحق واتضح فما بعده إلا الضلال، ورَبَّته على طريقة السؤال؛ ليستيقظ الطالب ويتبَّه، ثم أردفه بالجواب الذي يوضح الأمر به ولا يشبهه، وسمَّيته:

«أعلام السنة المنصورة، لإعتقاد الطائفة الناجية المنصورة»

والله أسأل أن يجعله ابتغاء وجهه الأعلى، وأن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، نعمة منه وفضلاً، إنه على كلِّ شيء قدير، وبعباده لطيف خبير، وإليه المرجع والمصير، وهو مولانا فنعم المولى ونعم النصير [١].

الشرح

[١] هذه مقدمة المصنف رحمه الله، حمداً فيها لله - تبارك وتعالى - على

جبريل الآله ونعمه وإفضاله، ومن أعظم ذلك ما من الله - تبارك وتعالى - عليه به من الهداية إلى معرفة الحق بدليله، والدعوة إلى ذلك بعد اعتقاده، وامتناله، وما من الله - تبارك وتعالى - عليه به من سلوك سبيل المؤمنين المؤجدين المتبعين للبيّ الأمين **عليه السلام**.

وبين **رحمته** هذا المصنف في أي شيء يكون، ثم ذكر **رحمته** السبب الذي لأجله جعله على طريقة السؤال والجواب؛ ليستيقظ الطالب ويتبّه، ثم يردف السؤال بالجواب الذي يتضح الأمر به، ولا يشبه.

وذكر اسم المصنف، فقال: «وسمّيته: أعلام السنّة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصوّرة»، وهذا على سبيل الحكاية، ويجوز أن تقول: «وسمّيته: أعلام السنّة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصوّرة».

ثم شرع **رحمته** في بيان ما إليه قصد، مبيناً ما عليه من الأدلة يعتمد، فقال **رحمته** سائلاً ومجيباً:

س (١): مَا أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ؟

ج: أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ: مَعْرِفَةُ الْأَمْرِ الَّذِي خَلَقَهُمُ اللَّهُ لَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِهِ، وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ عَلَيْهِمْ، وَلِأَجْلِهِ خَلَقَتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَبِهِ حَقَّتْ الْحَاقَّةُ وَوَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، وَفِي شَأْنِهِ تَنْصَبُ الْمَوَازِينُ وَتَنْطَاطِرُ الصُّحُفُ، وَفِيهِ تَكُونُ الشَّقَاوَةُ وَالسَّعَادَةُ، وَعَلَى حَسْبِهِ تَقْسَمُ الْأَنْوَارُ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ [١].

الشرح

[١] أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْرِفُوا الْأَمْرَ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَهُمُ اللَّهُ

تَعَالَى، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِهِ.

وَالْمِيثَاقُ هُوَ: مَا أَخَذَهُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَى بَنِي آدَمَ عِنْدَمَا كَانُوا فِي ظَهْرِ أَبِيهِمْ آدَمَ عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» ^(١)، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يُنْقَلُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ: أَكُنْتَ مُفْقِدِيًّا بِهِ؟

قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ.
 فَيَقُولُ: قَدْ طَلَبْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ، أَلَّا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ.
 فَهَذَا هُوَ الْمِيثَاقُ، الَّذِي ذَكَرَهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: «وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِهِ، وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَاجِلِهِ خَلَقْتُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَبِهِ حَقَّتْ الْحَقَّةُ، وَوَقَعَتِ الرَّاقِعَةُ».

فَهَذَا أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْرِفُوا هَذَا الْأَمْرَ، فَمَا هُوَ هَذَا الْأَمْرُ؟



س (٢): مَا هُوَ ذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ الْأَجْمَلُ؟

ج: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ مَا خَلَقْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ مَا خَلَقْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩]

[ص: ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ وَالْجِبَالِ كُلِّهَا وَمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجن: ٢٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَةٍ﴾ [الفرقان: ٢١].

الآيَات: [١].

من (٣): مَا مَعْنَى الْعَبِيدِ؟

ج: الْعَبِيدُ إِنْ أُريدَ بِهِ الْمُعَبَّدُ، أَي: الْمَذَلُّ الْمُسَخَّرُ، فَهُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْعَوَالِمِ الْعُلُويَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ: مِنَ عَاقِلٍ وَغَيْرِهِ، وَرَطَبٍ وَنَابِسٍ، وَمُسَخَّرٍ وَسَاكِنٍ، وَظَاهِرٍ وَكَامِنٍ، وَمُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَبَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. الْكُلُّ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ **عَلَيْهِ**، مَرْبُوبٌ لَهُ، مُسَخَّرٌ بِتَسْخِيرِهِ، مُدَبَّرٌ بِتَدْبِيرِهِ، وَلِكُلِّ مِنْهَا رَسْمٌ يَقِفُ عَلَيْهِ، وَحَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ، كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًّى لَا يَتَجَاوَزُهُ يَنْتَقَالَ ذَرَّةً، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَتَدْبِيرُ الْعَدْلِ الْحَكِيمِ. [١]

الشرح

[١] إِذَا أُريدَ بِالْعَبِيدِ الْمُعَبَّدُ الْمَذَلُّ الْمُسَخَّرُ، فَهَذَا مَعْنَى شَامِلٌ، وَجَيِّدٌ يَعُودُ إِلَى أَصْلِ الْمَعْنَى اللَّغَوِيِّ، وَقَدْ قَالَ طَرَفَةُ^(١) فِي وَصْفِ نَاقَتِهِ:

تُبَارِي عِثَاقًا نَاجِيَاتٍ، وَأَتَبَعْتَ وَظِيفًا وَظِيفًا فَوْقَ مَسُورٍ مُعَبَّدٍ^(٢)

تُبَارِي: أَي تَعَارِضُ.

عِثَاقًا: كِرَامًا مِنَ الْإِبِلِ الْبَيْضِ.

نَاجِيَاتٍ: سِرَاعًا.

(١) هُوَ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبِيدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ سَعْدٍ، أَبُو عَمْرٍو، الْبَكْرِيُّ الْوَائِلِيُّ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ، تَبَيَّنَ الْحِكْمَةُ عَلَى لِسَانِهِ فِي أَكْثَرِ شِعْرِهِ، وَلَدَ فِي بَادِيَةِ الْبَحْرَيْنِ، وَتَنَقَّلَ فِي بَقَاعِ تَجْدٍ، قِيلَ شَابًا نَحَوَ سَنَةِ ٦٠ ق هـ وَجُمِعَ الْمَحْفُوظُ مِنْ شِعْرِهِ فِي دِيْوَانٍ، انْظُرْ: «الْأَعْلَامُ» لِلزُّرْكَانِيِّ (٣/ ٢٢٥).

(٢) انْظُرْ: «لِسَانُ الْعَرَبِ» (٥/ ١٨٦).

وَأِنْ أُريدَ بِهِ الْعَبْدُ الْمُحِبُّ الْمُنْذَلُّ، خُصَّ ذَلِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادَةُ الْمُكْرَمُونَ، وَأَوْلِيَاؤُهُ الْمُتَّقُونَ، الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. [١]

الشرح

= وَظِيفًا: الوَظِيفُ: عَظْمُ السَّاقِ.

أَتَبَعْتَ وَظِيفًا وَظِيفًا فَوْقَ مَوْرٍ: وَهُوَ الثَّرَابُ وَالْعُبَارُ.

مُعَبَّدٌ: فَوْقَ مَوْرٍ مُنْذَلٌّ، فَالْمُعَبَّدُ: الْمُنْذَلُّ الْمُسَخَّرُ.

فَالْعَبْدُ إِنْ أُريدَ بِهِ الْمُعَبَّدُ، أَيْ: الْمُنْذَلُّ الْمُسَخَّرُ فَهُوَ يَهْدِي الْمَعْنَى شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَمُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَظَاهِرٍ وَكَامِنٍ، وَمُتَحَرِّكِ وَسَاكِنٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً -.

وَقَوْلُهُ: «لِكُلِّ فِيهَا رَسْمٌ يَقِفُ عَلَيْهِ». الرَّسْمُ: الْأَثَرُ، وَرَسَمُ الدَّارِ: مَا كَانَ مِنْ أَثَارِهَا لَا صِيقًا بِالْأَرْضِ.

[١] فَالْعَبْدُ قَدْ يُرَادُ بِهِ الْمَعْنَى الْعَامَّةُ، فَيَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ حَتَّى الشَّيَاطِينُ، فَهُمْ عِبِيدُ اللَّهِ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ مَرْبُوبُونَ، مُسَخَّرُونَ، مَقْهُورُونَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ شَيْئًا.

وَأِنْ أُريدَ بِالْعَبْدِ: الْمُحِبُّ الْمُنْذَلُّ، لَا الْمُنْذَلُّ الْمُسَخَّرُ، خُصَّ ذَلِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ؛ الَّذِينَ هُمْ عِبَادَةُ الْمُكْرَمُونَ، وَأَوْلِيَاؤُهُ الْمُتَّقُونَ، الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

س (٤): ماهي العبادة؟

ج: العبادة: هي اسم جامع لكل ما يُحبّه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنية، والبراءة مما يتنافي ذلك ويضاده. [١]

الشرح

[١] هذا تعريف شيخ الإسلام **رحمته الله** في رساليه الماتية الجامعة «العبودية»^(١)، هذا التعريف يدل على أن العبادة تشمل جميع صور الحياة من ظاهر وكامن، ومن متحرك وساكن، ومن منوي ومأتي به، فإذا نظر الإنسان إلى هذا المعنى نظراً صحيحاً، استحالت حياته كلها عبادة لربه - جلّ وعلا -، من عقيد قلبه، إلى نطق لسانه، إلى حركة جوارحه.



س (٥): مَتَى يَكُونُ الْعَمَلُ عِبَادَةً؟

ج: إِذَا اكْمَلُ فِيهِ شَيْئَانِ؛ وَهُمَا: كَمَالُ الْخُبِّ مَعَ كَمَالِ الذُّلِّ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتَمُّوا حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧].

وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُنْزُوا لَنَا خَيْرِ عَمَلٍ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. [١]

الشرح

[١] فَلَا بُدَّ فِي الْعَمَلِ - لِكَيْ يَكُونَ عِبَادَةً - مِنْ كَمَالِ الْخُبِّ، مَعَ كَمَالِ الذُّلِّ، فَإِذَا لَمْ يَجْمَعْ الْعَمَلُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ لَا يَكُونُ عِبَادَةً، فَمَنْ أَحَبَّ إِنْسَانًا - مَثَلًا - غَايَةَ الْحُبِّ، وَلَمْ يَذَلَّ لَهُ، لَا يَكُونُ لَهُ عَابِدًا، وَإِذَا ذَلَّ لَهُ كَمَالُ الذُّلِّ، وَلَمْ يُجِبْهُ كَمَالُ الْحُبِّ، لَا يَكُونُ لَهُ عَابِدًا، حَتَّى يَجْمَعَ الْأَمْرَيْنِ مَعًا: كَمَالُ الْخُبِّ مَعَ كَمَالِ الذُّلِّ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ (١):

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُسْبِيَّةٍ مَعَ ذَلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
وَعَلَيْهِمَا فَلَا فَلَكَ الْعِبَادَةُ دَائِرَةٌ مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ



(١) «الكَافِيَّةُ الشَّافِيَّةُ» (ص ٣٥، ط ابن تيمية).

س (٦): ما علامة محبة العبد ربه ﷻ؟
 ج: علامة ذلك، أن يحب ما يحبه الله تعالى، ويبغض ما يبغضه، فيمثل
 أوامره ويحجب مناهيه، ويوالي أوليائه، ويعدى أعداءه، ولذا كان أوثق عرى
 الإيمان الحب في الله والبغض فيه. [١]

الشرح

[١] فإذا أراد الإنسان أن يعرف هل دعواه في محبة إلهه ومولاه صحيحة
 ثابتة أم هي محض دعوى لا برهان ولا دليل عليها؟ فعليه أن ينظر متحرراً إلى
 هذه العلامة؛ فعلمة أن العبد يحب ربه - تبارك وتعالى - أن يحب ما يحبه الله
 تعالى، ويبغض ما يبغضه، ونتيجة ذلك أن يمثل أوامره، ويحجب مناهيه،
 ويوالي أوليائه، ويعدى أعداءه، ولذا كان أوثق عرى الإيمان الحب في الله
 والبغض فيه.

والشيخ رحمه الله يشير إلى الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد رحمه الله
 في «المسند»، من حديث البراء رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «أوثق عرى الإيمان:
 الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله» (١).

(١) أخرجه وكيع في «الزهد» (٣٢٩)، عن عمرو بن مرة مرسلاً، وأخرجه الطيالسي في «مسنده»
 (٧٨٣)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (١١٠)، ط المكشوب الإسلامي، وفي «المصنف»
 (٣٠٤٢٠، ٣٠٣٣٨، ٣٠٣٣٩) ط الرشد، وأحمد (١٨٥٢٤)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (رقم ١،
 ط العلمية)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٩٣)، والرويان في «مسنده» (٣٩٩،
 ٤٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠).

وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَالبَغَوِيُّ فِي «شرح السُّنَّةِ»، وَحَسَنَهُ الشَّيْخُ
الْأَبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».



(١٧ / ٤٣١)، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (١١ / ٣٥٤، ط الْعِلْمِيَّة)، مِنْ طَرِيقٍ: لَيْثُ بْنُ
أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ سُؤَيْدٍ بْنِ مِقْرَنٍ، عَنِ التَّوَّابِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِسْلَامِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالبَغْضُ فِي اللَّهِ». وَحَسَنَهُ لَغَيْرِهِ الْأَبَانِيُّ
فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٣٠٣٠)، وَفِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢٥٣٩).
وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الكَبِيرِ» (٥ / ٣٣٩، رَقْم ١١٣٧٢، ط الْعِلْمِيَّة)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ»
(١٢ / ٧٦، رَقْم ٩٠٦٨)، وَالسَّجَرِيُّ فِي «الْأَمْثَالِ» (٢٠٥٩، ٢١٥٦)، وَالبَغَوِيُّ فِي «شرح
السُّنَّةِ» (١٣ / ٥٣، رَقْم ٣٤٦٨، ط الْمَكْتَبِ الْإِسْلَامِيِّ)، مِنْ طَرِيقٍ: حَنْشٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَعْلَمُ، قَالَ: الْمَوَالَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالبَغْضُ فِي اللَّهِ». وَحَسَنَهُ
بَشْرَاهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٩٩٨، ١٧٢٨).

س (٧): بِمَاذَا عَرَفَ الْعِبَادُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ؟

ج: عَرَفُوهُ بِإِرْسَالِ اللَّهِ تَعَالَى الرَّسُلَ وَإِنْزَالِهِ الْكِتَابَ، أَمْرًا بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، نَاهِيًا عَمَّا يَكْرَهُهُ وَيَأْتَاهُ، وَبِذَلِكَ قَامَتْ عَلَيْهِمْ حُجَّتُهُ الدَّامِنَةُ، وَظَهَرَتْ حِكْمَتُهُ الْبَالِغَةُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. [١]

الشرح

[١] فَعَرَفَ الْعِبَادُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ، لَا مِنْ طَرِيقِ الْفِكْرِ الْمَوْهُومِ؛ وَلَا مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ، وَلَا مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ، وَلَا مِنْ طَرِيقِ الذَّوْقِ، وَلَا مِنْ طَرِيقِ الرِّيَاضَاتِ، وَإِنَّمَا عَرَفُوا مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ عَنْ طَرِيقِ رُسُلِهِ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، فَأَمَرَ فِيهَا بِمَا يُحِبُّ، وَنَهَى فِيهَا عَمَّا يُبْغِضُهُ، فَقَامَتْ بِذَلِكَ حُجَّتُهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَى خَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، وَظَهَرَتْ حِكْمَتُهُ تَعَالَى فِي قُدْرِهِ وَشُرْعِهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.



س (٨): كم شروط العبادة؟

ج: شروط العبادة ثلاثة:

الأول: صدق العزيمة، وهو شرط في وجودها.

والثاني: إخلاص النية.

والثالث: موافقة الشرع الذي أمر الله تعالى أن لا يدان إلا به، وهما شرطان

في قبولها. [١]

الشرح

[١] ذكر المصنف للعبادة ثلاثة شروط:

الشرط الأول: شرط في وجود العبادة وتحقيقها في الحياة، فإذا لم يوجد هذا الشرط، لم توجد العبادة أصلاً، فلا بد من وجودها أولاً، ثم بعد ذلك ينظر في شرطي قبولها، وهذا ما يقضي به العقل الصريح، كما قالوا قديماً: «أثبت العرش ثم انقش»، فلا بد أولاً من وجود العبادة، فإذا ما وجدت ينظر بعد ذلك في شرطي قبولها.

س (٩): مَا هُوَ صِدْقُ الْعَزِيمَةِ؟

ج: هُوَ تَرْكُ النَّكَاسِلِ وَالْتَوَانِي، وَبَدَلُ الْجَهْدِ فِي أَنْ يُصَدَّقَ قَوْلُهُ بِفِعْلِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا

عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣]. [١]

الشرح

[١] إِذَا لَمْ تَصْدُقِ الْعَزِيمَةَ، لَمْ يُوجَدْ الْفِعْلُ، فَلَا بُدَّ مِنْ صِدْقِ الْعَزِيمَةِ، فَإِذَا وُجِدَ الْفِعْلُ نَظَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي شَرْطِي قَبُولِهِ.

فَالشَّرْطُ الْأَوَّلُ: صِدْقُ الْعَزِيمَةِ، وَهُوَ شَرْطٌ فِي وُجُودِهَا.

